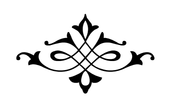
وصية لأهل الإسلام وأهل الثبات



لفضيلة الشيخ
سليمان بن ناصر العلوان

وصية لأهل الإسلام
وأهل الثبات



لفضيلة الشيخ:
سليمان بن ناصر العلوان

مقدمة الدار

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، نبينا مُحَمَّد، وعلى آله وصبحه أجمعين.

أما بعد:

فهذا سؤال ألقي على فضيلة الشيخ سليمان بن ناصر العلوان – حفظه الله – في اللقاء المفتوح، وقد قمنا بإفراده لأهميته وعظيم شأنه.

كتبه

دار العلوان



السؤال: أحسن الله إليكم شيخنا: ما وصيتكم لأهل الإسلام وأهل الثبات في هذا العصر؟ وما تعليقكم على الهجمة الشعواء على أهل التوحيد بوصفهم بالخوارج؟

الجواب: التصنيف اليوم ضارب بجرانه في الأرض، وهو ليس خاصا بطبقة، فجميع الطبقات تصنف اليوم، وليست هنالك طبقة معفوَّةٌ عن التصنيف، بل جميع طبقات أهل الأرض مبلية بالتصنيف.

فإذا أراد الإنسان أن يجهز على صاحبه صنفه ضمن طائفة حتى يستطيع أن يتخلص منه، فإن كان لا يوافقه رماه ببدعة حتى يستطيع أن يتخلص منه؛ لأنه إن كان على منهجه ويخالفه في جزئية فسيؤثر يومًا من الأيام على هذا التوجه، فهو يحاول أن يصنفه ضمن طائفة حتى لا يقال أنه على هذا التوجه، فهو أصلا ليس على منهجنا!

فالذي عنده صدق وإخلاص لا يهمه سواء كان الحق له أو عليه، كما قال عمر بن عبد العزيز: (وددت أن لحمي قد قرظ بالمقاريظ وأن الخلق أطاعوا الله!)، وكما قال الشافعي رحمه الله تعالى: (وددت أن الناس أخذوا عني هذا العلم ولم يُنسب إلي منه شيء).

وطوائف من الناس اليوم إذا خالفهم رجل في مسألة قالوا عنه بأنه خارجي! لأنهم لا يستطيعون أن يقضوا على الموحد إلا برميه ببدعة؛ فهم يعلمون أن الناس ينفرون من الخوارج، فهم يريدون أن يصنفوه على هذه الطريقة وعلى هذا التصنيف الباطل الجائر، سواء عن عمالة كما هو موجود من طوائف، فهم يعملون هذا عن عمالة وعن خبث ويتقاضون على تصنيف المسلمين والطعن فيهم أجورًا، أو عن بدعة وضلالة وانحراف كما يصنع ذلك المرجئة وأشباههم الذين يصنفون أهل السنة والجماعة على أنهم خوارج؛ لأنهم يعلمون أنه لو بقي أهل التوحيد ولم يُصنَّفوا فسيشكلون خطرًا عليهم وعلى بدعتهم وضلالتهم، وهم لا قدرة عندهم على مصاولة الحق؛ لأن الحق أبلج والباطل لجلج؛ فيحاولون رد الحق بالكذب، ويحاولون الانتصار لأنفسهم بالفجور بالخصومة، كما قال الشاعر:

مـــا عنـــدهم عنـــد التنـــاظر حجـــةٌ ... أنى بهـــــا لمقلـــــدٍ حـــــيران؟!
لا يفزعـــــون إلى الـــــدليل وإنمـــــا ... في العجـــز مفـــزعهم إلى الســـلطان!

وبعض الطوائف من الجهمية – المرجئة – والعملاء يدعون إلى مناظرة! على أي شيء تدعو إلى المناظرة وأنت تحتمي بسلطة؟!

فلو ناظرك الموحد وبين عوارك لذهب إلى الحبس وأنت إلى القصر! فالبتالي لا معنى للمناظرة! فالمناظرة تكون بأمن وأمان ليستطيع أن يقول الحق.

وعلى ماذا سيناظر؟!

يناظر على بيان عمالات! ويناظر على بيان أن هذا إيمان وهذا كفر!

ومن يريد أن يبين هذا فسيواجه مشاقًا ومصاعبًا.

فالمناظرة تكون بين رجلين كلٌ منهما يأمن على نفسه بعد ذلك، أما أن يذهب الموحد إلى السجن ويذهب المرجئ إلى القصر ويقول: ناظرته! وإذا لم تناظره فسيعتبرك مهزومًا!

فهذا غير صحيح! وهذه طريقة المفلسين، وطريقة العجزة، وطريقة المغرضين!

وإلا فالمناظرة إذا كانت بالطريقة الشرعية فلا أحد يهرب منها، والحق هو الذي ينتصر في النهاية!

وماذا عند المبتدع من القدرة على مناظرة أهل السنة والجماعة؟!! وماذا عند الجهال والعملاء من القدرة والجري في ميدان المجادلة بالعلم وبالكتاب وبالسنة؟!!

ولكن المرجئة يحتمون بسلطة وأهل التوحيد لا يحتمي بشيء؛ ثم يزعمون أنهم يلزمونهم بهذا! ويلبسون على العامة بقولهم: نحن نطلب المناظرة! ونحن قد فتحنا أبوابنا!

أنتم لم تفتحوا أبوابكم! بل فتحتم باب العمالة وباب الجرئة وباب الطعن والسب على الآخرين!

وإلا فالذي يناظر بالكتاب والسنة فلا مانع من مناظرته، فقد ناظر ابن عباس الخوارج، ولكن كان بمأمن والخوارج بمأمن، حتى الخوارج كانوا بمأمن! ولما لم يقبل الخوارج من علي، قال علي: (لا تبدؤوهم بالقتال حتى يبدؤوكم). مع أنهم كانوا يكفرون الصحابة ويلعنونهم ويسبونهم!

فابن عباس ناظرهم مع أن السلطة كانت مع علي وأصحابه، ولكن جعلهم في مأمن.

فإذا وُجد مأمن للحوار والنقاش والمجادلة والمناظرة فليس هنالك أحد يتهرب منها.

أما أن يطلب المرجئ المناظرة وهو يعلم أن المسائل التي سيناظر عنها متعلقة بأهل القوة والنفوذ، وإذا كان الحق عليه ذهب الموحد للسجن فيقال: غُلب! ويذهب المرجئ إلى القصر ويقال: غَلب!

فهذا أشبه ما يكون بسلاح العاجز، ولا قدرة لمثل هذا على المناظرة ولا على المصاولة.

وعلى كلٍ: فهذا استطراد في موضوع الأخ وما سأل عنه مما يجري الآن في هذا العصر.

والذي نحث عليه الإخوة: هو الثبات والاستقامة على أمر الله وعلى أمر رسول الله ﷺ، وعلى العدل سواء على نفسك أو على غيرك.

لأن البعض إذا نُقد يقول: لا يهمك هؤلاء أصلاً أهل بدع!

لماذا يقول هذا؟!

ليبرر موقفه؛ لأنهم لم ينقدوه إلا لأنهم مبتدعة! وهذا غير صحيح وليس بلازم!

فلا يلزم إذا نقدك المبتدع أن يكون كلامه كله باطلاً، فقد يكون فيه شيء من الحق، وعلى المسلم أن يعود نفسه على العدل، وعلى أن يقبل نقد الآخرين.

ولذلك لا نقول: إن النقد الموجود الآن كله غلط. بل نستطيع أحيانًا أن نقول: أنه ظاهرة صحية في هذا العصر، إذا قصد به الله والدار الآخرة.

والسب والشتم لا قيمة له وصاحبه يترك ولا يُتلفت إليه، إنما الحديث على من ينقد بعلم ولو كان له توجه وفكر آخر أو مخالف للحقيقة ولأصول أهل الحق، لكن في بعض طرحه شيئًا من الحق.

فالمسلم لا يرد الحق لمخالفته للهوى، فإنَّ هذا داءٌ عظيم يوجد في كثيرٍ من الناس؛ فبعض الناس يحب أن يظهر دائمًا بمظهر الحق، وكأنه معصوم! وأن ما عند غيره من الحق كأنه باطل، فدائمًا إذا نُقد أو بُين غلطه أو نُصح في مسألة؛ رمى الآخرين بالابتداع وصنفهم؛ لأنه ما عنده أصلاً قدرة على رد ما قالوه بالحق فهو يتكئ على أنه مبتدع حتى يقول الناس: ما نقده إلا لأنه مبتدع! لو كان من أهل السنة ما نقده!

وهذا غير صحيح، وهذا داء موجودٌ وهو داءٌ عظيم، وقد يوجد في أهل الخير والصدق والإخلاص وفي بعض الناس الذين هم أقرب الناس إلى الحق في هذا العصر، فلا يحبون النقد، وكل من نقدهم صنفوه ليتخلصوا من نقده، وهذا غلط، وهو من خصال أهل الجاهلية.

فينبغي على المسلم أن يعود نفسه على قبول الحق ممن أتى به، وليس بالضرورة أن يكون كل ما قاله المبتدع باطلا، وليس بالضرورة أنك إذا كنت على الحق والسنة أن يكون كل ما تقوله هو الحق، فقد يكون شيءٌ مما تقوله باطلاً، فلا بد أن تتنبه لنفسك وأن تزن الناس بميزان العدل وأن تحذر الهوى، فإن الهوى يتجارى بصاحبه كما يتجارى الكَلَب بصاحبه، وكما قال أبو تمام:

وعبـــــادة الأهـــــواء في تطويحهـــــا بالـــــدين فـــــوق عبـــــادة الأصـــــنام

ومن ثَمَّ قال بعض السلف: (سمي الهوى هوى لأنه يهوي بصاحبه في نار جهنم).

وكذلك إذا ظُلم المرء أو سُبَّ أو طُعن فيه أو عابه رجل لا يحملنَّه هذا على أن يجور معه فيقول فيه ما ليس فيه.

فالواجب على المسلم أن يعدل، وهذا أقرب للتقوى، والناس يحبون العادل ويخضعون له وإن خالفوه فهم يعلمون مكانته وعزته، وهؤلاء هم الذين يجعل الله لهم المهابة في القلوب، وهم الذين يجعل الله لهم الدار الآخرة، كما قال الله جل وعلا: ﴿تلك الدار نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين﴾ ﴿لا يريدون علوا في الأرض﴾ أي: لا يظهرون على الناس بالباطل وإنما يظهرون على الناس بالحق.

وهؤلاء هم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية التي تواترت فيهم الأحاديث عن النبي ﷺ (ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله) تبارك وتعالى.

وعلى المسلم أن يصبر على أذى المخالفين، فإن كان عنده قدرة على مجالسة الآخرين وتحمل أذاهم ونصحهم ووعظهم وإرشادهم وتوجيههم كما هي طريقة الأنبياء والمرسلين وأتباعهم إلى يوم الدين؛ فليسلك هذا السبيل، وأما إذا لم تكن عنده قدرة على التحمل؛ فإنه يترك هؤلاء وشرهم وليحافظ على ما عنده من الحق؛ لأن البعض إذا سُب تنازل من أول وهلة، وإذا قيل عنه بأنه خارجي؛ تبرأ من مذهب الخوارج بالطعن بالحق!

ولما جاءت الحملة قبل عشر سنوات على الخوارج في الإعلام والصحف – ودخل في ذلك من دخل من أهل الخير والصلاح وخاض مع من خاض، وحدثت التحولات؛ فيكون الرجل على الحق ثم يتحول إلى بدعة وضلالة! – قال البعض: لا داعي في هذا العصر أن نُدرِّس نواقض الإسلام! لأن من درَّس نواقض الإسلام آنذاك صار خارجيًا!

ولا يزال هذا حتى الآن، فالذي يشرح نواقض الإسلام أو يتكلم عنها أو يقررها أو يقول: بأن من أعان الكفار على المسلمين مرتد، كما هو إجماع من العلماء؛ يُصنف من أول وهلة أنه على توجه الخوارج.

والبعض لديه انهزامية؛ فانهزم وترك هذه العلوم، وترك هذه الأبواب، وترك أصل الدين خشية أن يقال عنه بأنه من الخوارج!

وهذا ضلال وانحراف! فأنت قد تحولت من بدعة إلى بدعة أخرى ومن ضلالة إلى ضلالة!

والمسلم لا يتنازل عن الحق ولو قيل عنه ما قيل!

ومع ذلك لا نأمرك بالجور ولا بالانتقام للنفس، بل نأمرك ببيان الحق الذي أمر الله به، فالبدعة لا ترد ببدعة، والشرك يرد بالتوحيد، والبدعة ترد بالسنة، والباطل يرد بالحق، ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾.

فإذا حمل أهل الباطل على المسلم حملة فما عليه إلا أن يثبت! فالحق أبلج، والباطل لجلج، والحق سوف ينتصر مهما طال الزمن!

قال ابن القيم رحمه الله:

والحـــق منصـــورٌ وممـــتحنٌ فـــلا	تعجـــب فهـــذي ســـنة الـــرحمن
وبـــذاك يظهـــر حزبـــه مـــن حربـــه	ولأجـــل ذاك النـــاس طائفتـــان
ولأجـــل ذاك الحـــرب بـــين الرســـل والـــ	كفـــار مـــذ قـــام الـــورى ســـجلان
لكنمـــا العقـــبى لأهـــل الحـــق إن	فاتـــت هنـــا كانـــت لـــدى الـــديان

وقال أيضا: فصلٌ فيما أعد الله للمتمسكين بسنة النبي ﷺ عند فساد ذي الأزمان:

هـــذا وللمتمســـكين بســـنة المختـــار	عنـــد فســـاد ذي الأزمـــان
أجـــرٌ عظـــيم لـــيس يقـــدر قـــدره	إلا الـــذي آتاه للإنســـان
فـــروى أبـــو داود في ســـننٍ لـــه	ورواه أيضـــا أحمـــد الشـــيباني
أثـــرًا تضـــمن أجـــر خمســـين امـــرءا	مـــن صـــحب أحمـــد خـــيرة الرحمـــان
إســـناده حســـنٌ ومصـــداقٌ لـــه	في مســـلمٍ فافهمـــه بالإحســـان

إلى أن قال:

فالحـــائز الخمســـين أجـــرا لم يحزهـــا	في جميـــع شـــرائع الإيمـــان
هـــل حازهـــا في بـــدر أو أحـــد أو الـــ	فـــتح المبـــين وبيعـــة الرضـــوان
بـــل حازهـــا إذ كـــان قـــد فقـــد المعيـــ	ـــن وهـــم فقـــد كـــانوا أولي أعـــوان
والـــرب لـــيس يضـــيع مـــا يتحمـــل الـــ	متحملـــون لأجلـــه مـــن شـــان
فتحمـــل العبـــد الوحيـــد رضـــاه مـــع	فـــيض العـــدو وقلـــة الأعـــوان
ممـــا يـــدل علـــى يقـــينٍ صـــادقٍ ومحبـــة	وحقيقـــة العرفـــان
يكفيـــه ذلاً واغـــترابًا قلـــة الـــ	أنصـــار بـــين عســـاكر الشـــيطان

في كـــــل يـــــومٍ فرقـــــةٌ تغـــــزوه إن ... ترجـــــع يوافيـــــه الفريـــــق الثـــــاني
هـــــذا وقـــــد بعـــــد المـــــدى وتطـــــاول ... العهـــد الـــذي هـــو موجـــب الإحســـان

إلى أن قال:

لا توحشـــــنك غربـــــةٌ بـــــين الـــــورى ... فالنـــــاس كـــــالأموات في الجبـــــان
أو مـــــا علمـــــت بأن أهـــــل الســـــنة ال ... غـــــرباء حقًّـــــا عنـــــد كـــــل زمـــــان
قـــــل لي مـــــتى ســـــلم الرســـــول و صـــــحبه ... و التـــــابعون لهـــــم علـــــى الإحســـــان
مـــــن جاهـــــلٍ ومعانـــــدٍ ومنـــــافقٍ ... ومحـــــاربٍ بالبغـــــي والطغيـــــان
و تظـــــن أنـــــك وارثٌ لهـــــم ومـــــا ... ذقـــــت الأذى في نصـــــرة الـــــرحمن
كـــــلا و لا جاهـــــدت حـــــق جهـــــاده ... في الله لا بيـــــدٍ ولا بلســـــان
منتـــــك والله المحـــــال الـــــنفس ... فاســـتحدث ســـوى ذا الـــرأي والحســـبان
لـــــو كنـــــت وارثـــــه لآذاك الألى ... ورثـــــوا عـــــداه بســـــائر الألـــــوان

وأختم بما قال الإمام أحمد – رحمه الله تعالى – حين تكالب أهل عصره عليه من حكام وسلاطين وأمراء ووجهاء وغير ذلك ولم يبقى معه إلا القليل، وهذا القليل قد تفرقوا عنه، فمنهم من قتل، ومنهم من استجاب تحت ضغط، ومنهم من ثبت ولكن لم يكن له من الشهرة والذيوع كموقف الإمام أحمد – رحمه الله تعالى –، فأتى إليه بعض المحبين له وقال: يا أبا عبد الله! فجعل يذكره بآيات الإكراه وأحاديث الإكراه، وكان الإمام أحمد في الحبس وبيديه ورجليه السلاسل التي تزن الأطنان، فإذا قام لا يستطيع القيام من ثقل هذه السلاسل، فقال: (يا هذا! إذا سكت الجاهل لجهله وأجاب العالم تقية فمتى تقوم حجة الله على عباده؟!!).

وأتى إليه رجل وقال: يا أبا عبد الله ألم ترى كيف انتصر الباطل على الحق؟!

لشيوع أهل الباطل وظهور أهل الباطل وسلطنة أهل الباطل!

قال: (كلا! ما دامت القلوب ثابتة فالحق هو المنتصر!).

وكثير من الناس لا يعرف من النصر إلا النصر العسكري، وانتصار المبادئ هو الانتصار الحقيقي! والأمر كما قال شوقي:

قـــــف دون رأيـــــك في الحيـــــاة مجاهـــــدًا ... إن الحيـــــاة عقيـــــدةٌ وجهـــــاد

وكما قال البارودي:

مـــن رام نيـــل العـــز فليصـــطبر علـــى لقـــاء المنـــايا واقتحـــام المضـــايق

فـــإن تكـــن الأيام رنقـــن مشـــربي وثلَّمـــن حـــدي بالخطـــوب الطـــوارق

فمـــا غيرتـــني محنـــةٌ عـــن خليقـــتي ولا حـــولتني خدعـــةٌ عـــن طرائقـــي

لكنـــني باقٍ علـــى مـــا يســـرني ويغضـــب أعـــدائي ويرضـــي أصـــادقي

والناس – حتى الكفار – يحترمون الرجل الثابت على مبادئه ويعيبون الرجل المتذبذب العابث بدينه، مرة مع هؤلاء ومرة مع هؤلاء، مرة يقول الحق ومرة يقول الباطل، فإذا حُمل عليه رجع عن الحق، وإذا رأى الموجة عن اليمين ذهب لليمين، وإذا رأى الموجة على اليسار ذهب لليسار، كدابة امرئ القيس:

مكـــرٍّ مفـــرٍّ مقبـــلٍ مـــدبرٍ معًـــا ....

هذا ونسأل الله جل وعلا لنا ولكم الثبات.

